الإذاعة الجزائرية قبل الاستقلال
من الريف المغربي إلى العاصمة العراقية

الأستاذ الدكتور: فضيل دليو، جامعة قسنطينة3، الجزائر

الأستاذة:نجاة بوثلجة، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر

الملخص:

كانت وسائل الإعلام الجزائرية قبل الاستقلال تتمثل أساسا في: الصحافة المكتوبة، الإذاعة السينما والمسرح...، مع ملاحظة التفاوت الواضح في أهمية تفعيل دورها المقاوم للاحتلال ثم المساند للثورة لأسباب تاريخية موضوعية. وفيما يلي تفصيل الكلام عن وسيلة "الإذاعة المسموعة الجزائرية" نظرا لأهميتها التعبوية ولقلة تغطيتها معرفيا. وذلك من خلال عرض تاريخي لأهم محطات استعمالها قبل الثورة التحريرية وأثنائها.

Abstract:

The Algerian media and communication before independence were mainly in the written press, radio, and theater ... noting the obvious disparity in the importance of activating its role of resisting the occupation and then supporting the algerian revolution for historical and objective reasons. The following is a detailed historical description of the "Algerian radio broadcasting" because of its importance media role and lack of speaking about. This is through a historical presentation of the most important stations to be used before and during the liberation revolution.

مقدّمة:

كانت وسائل الإعلام والاتصال الجزائرية قبل الاستقلال تتمثل أساسا في: الصحافة المكتوبة، الإذاعة، السينما والمسرح...، مع ملاحظة التفاوت الواضح في أهمية تفعيل دورها المقاوم للاحتلال ثم المساند للثورة لأسباب تاريخية موضوعية. وفيما يلي تفصيل الكلام عن وسيلة "الإذاعة المسموعة الجزائرية" نظرا لأهميتها التعبوية ولقلة تغطيتها معرفيا:

1. الإذاعة في الجزائر المحتلة

من المعروف أن سلطات الاحتلال الفرنسي بادرت بإنشاء مركز بث إذاعي ضعيف باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة منذ 1925 [1] وفي قسنطينة ووهران منذ 1940. ثم بدأ البث باللغة العربية باسم "إذاعة محطة الجزائر" منذ 1943، والتي أدمجت بعد سنتين في "إذاعة فرنسا" قبل أن يتم تحويلها في عهد الجنرال "ديغول" عام 1958 إلى "France 5". ولكن تجدر الإشارة قبل ذلك إلى تدشين استوديوهات إنتاج إذاعي محلية باللغات الفرنسية، العربية العامية والقبائلية منذ 1948 (في بجاية) ثم في مدن استراتيجية أخرى مثل سطيف (الهضاب العليا) وتقرت (الجنوب الشرقي، منذ 1956)...

إشهار لإذاعة راديولا

يظهر اسم إذاعة تقرت (Touggourt) في لوحة جهاز راديو قبل الاستقلال

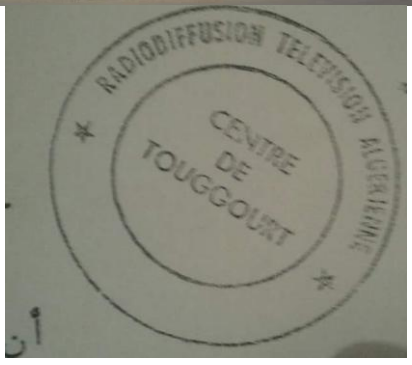

شركة الكهرباء التي تحولت إلى مقر لإذاعة تقرت منذ عام 1956+ ختم الإذاعة
ثم تصنيف الموقع تراثا وطنيا منذ 2009

وكان ذلك استجابة للحاجات الإعلامية للأقلية الأوروبية المستوطنة في الجزائر من جهة، ولتوجيه الرأي العام الجزائري ومحاربة التأثير العربي الإسلامي المشرقي من جهة ثانية. ولذلك كانت تبث باللغات الفرنسية والعامية العربية ثم بالقبائلية أيضا وعلى الموجات المتوسطة والقصيرة، مركّزة على التقسيم العرقي والدعاية للتفوق الحضاري الفرنسي وعلى الأغاني والموسيقى الفولكلورية (حوالي 50٪)[2] ولقد تم تقوية أجهزة الإرسال تدريجيا وخاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية لزيادة فرص التأثير على الرأيين العاميين المحلي والإقليمي.

خلاصة القول أن بثها بعد الحرب العالمية الثانية كان خماسي الأهداف: تلبية الحاجات الإعلامية للمستوطنين، توجيه الرأي العام الجزائري، محاربة اللغة العربية الفصحى والتأثير المشرقي (العربي الإسلامي)، إثارة النعرات العرقية والدعاية للتفوق الحضاري الفرنسي.

2. الإذاعة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية

من المعروف أن فرنسا أنشأت أثناء هذه الفترة ومنذ منذ 1956 خمس محطات تبث على الموجات المتوسطة ثلاث ذات 20 كيلو واط واثنتين ذات 100 كيلو واط، بالإضافة إلى شبكة من المحطات الضعيفة التي كانت تهدف إلى التشويش على الإذاعة الجزائرية. كما شهدت نفس الفترة إنشاء أربع محطات تعمل بالموجات القصيرة وبطاقة 50 ك واط للأغراض سابقة الذكر[3] .

من جهتها، وبعد إعلان الثورة في فاتح نوفمبر 1954، قررت قيادة جبهة التحرير الوطني إنشاء جهاز يمكّنها من القيام بعمل إعلامي دعائي يدعم العمل العسكري، فأنشأت إذاعة جزائرية متنقلة بدأت البث سريا يوم 16 ديسمبر 1956 [4] من منطقة الريف بشمال المغرب الأقصى باسم "إذاعة صوت الجزائر"، وذلك بعد أن اشترى المجاهد (مسعود زقّار) جهاز بث إذاعي بحري متوسط المدى من قاعدة عسكرية أمريكية بالقنيطرة (المغرب)[5].

وكان هذا الجهاز المرفق بهوائي يصلح لربط الوحدات العسكرية الكبيرة وعلى مسافات بعيدة. وبعد إدخال تعديلات عليه أصبح من الممكن استعماله في بث إذاعي متنقل عبر شاحنة من نوع "GMC" في منطقة الريف المغربي التي كانت حينها خاضعة للحكم الأسباني، وكان ذلك لمدة ساعتين ابتداءً من الساعة الثامنة مساءً [6]. مع العلم أن أول صوت إذاعي ينبعث عبر أثيرها، كان للمجاهد الشيخ محمد رضا ابن الشيخ الحسين (الملقب بـ"عقبة") وأن أول ما بدأ به هو أول آيات سورة الملك (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [7].

بعد اكتشاف أمرها وفشل قنبلتها في جويلية 1957، تدخلت فرنسا لدى السلطات المغربية، التي استعادت حينها سيادتها على منطقة الريف، مما أدى – بالإضافة إلى أسباب موضوعية أخرى- إلى توقف بثها سنة كاملة (سبتمبر 1957-1958)، قبل أن تعاود البث من مكان ثابت بمدينة الناظور المغربية وبإمكانات بث مباشر أقوى وببث مسجل منذ جويلية 1959، بعدما تحولت إلى إذاعة ثابتة مجهزة بمكاتب وأستوديو[8].

كانت هذه الإذاعة تبدأ برامجها بعبارة "هنا إذاعة الجزائر المكافحة" أو "صوت جبهة التحرير يخاطبكم من قلب الجزائر". وكانت تبث بالعربية الفصحى (ساعة)، القبائلية والفرنسية (نصف ساعة لكل منهما). وتضمنت برامج الإذاعة في مرحلتها الأولى المتنقلة (1956-1959) البلاغات العسكرية والتعاليق السياسية وقراءات في الصحف المتوفرة والرد على دعاية الاحتلال وغيرها من البرامج ذات الطابع الإخباري، الدعائي والتعبوي، بالإضافة إلى بعض الأغاني والأناشيد العربية.

وكان من أوائل محرريها ومذيعيها: الشيخ محمد رضا بن الشيخ الحسين (بالعربية)، بوعبد الله جدو وخليفته بلعيد عبد السلام (بالقبائلية)، عبد المجيد مزيان (بالفرنسية) [9] .

ومعلوم أن مؤتمر الصومام (1956) أوصى بإنشاء فوري لإذاعة جزائرية تعمل على تحقيق ثلاثة أهداف على الأقل: إنشاء جسر بين الثورة والشعب، دحض إدعاءات فرنسا وتنوير الرأي العام بحقائق ما يجري في الواقع والتواصل بين قادة الثورة برسائل مشفرة [10].

وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية في 19 سبتمبر من عام 1958 تم تدعيم العمل الإذاعي بدعم طاقمها البشري بمحررين (عيسى مسعودي، مدني حواس، سعد دحلب، مصطفى تومي، قدور أكتوف، محمد بوزيدي، عبد العزيز شكيري، خالد سافر...) وبتجديد أجهزتها وتقوية البث وزيادة حجمها الساعي (إلى ثلاث مرات فى اليوم)، وتدشين محطة إذاعية ثابتة في مدينة الناظور في جويلية 1959 مرفقة بمصلحة تنصّت[11] .

وبعدها بحوالي سنتين أو ثلاث (بعد إعلان وقف القتال وقبل الاستقلال الرسمي) كوّنت الجبهة إذاعة محلية في العاصمة بـ"بئر مراد رايس" (حي "لاكونكورد" الشعبي) كلّفت بها "عبد الرزاق قسوم" بمعيّة "فاروق حميدتشي، آيت لمين محمد لمين، علي عبد اللطيف..."، وكانت تبث -صباحا ومساءً- بالعربية، الفرنسية والقبائلية: الأناشيد الدينية والوطنية والأحاديث النبوية والتعاليق والتحاليل السياسية [12].

أما قبل ذلك، وتحديدا ابتداءً من عام 1955، فقد استعانت الجزائر بإذاعات الدول العربية "الشقيقة" التي أتاحت لها إيصال صوتها للداخل والخارج عبر بث برامج دورية، أهمها:

إذاعة "صوت العرب [13] من القاهرة، التي تصدرت مشهد الدعم الإعلامي، حيث بثت بيان إعلان الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر 54، ثم اعتمدت برنامجا يوميا بالعربية منذ 1955 وبالفرنسية أيضا منذ 1956، مع إذاعة رسائل مشفرة لجبهة التحرير. وقد تداول على هذا البرنامج كل من أحمد توفيق المدني، رابح تركي عمامرة، محمد كسوري وعبد القادر بن قاسي (باللغة العربية)

وكل من مبروك بلحسين، محمد حاج حمو، المحامي ربعاني، وعدة بن قطاط (باللغة الفرنسية) [14].

- **الإذاعة التونسية**: ابتداء من 1956 ضمن برامج الإذاعة التونسية ومن ربيع 1957 ببرنامج خاص "هنا صوت الجزائر المكافحة الشقيقة"، ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة ساعة (تحول إلى برنامج يومي وباللغتين منذ سبتمبر 1958). وكان أوائل محرريه ومذيعيه: عبد الله شريط، عيسى مسعودي، الأمين بشيشي. دعمتهم الحكومة المؤقتة بكل من: محمد بوزيدي، العربي سعدوني وسرج ميشال[15].
- **الإذاعة المغربية**: بثت "صوت الجزائر" مرتين في اليوم من الرباط، تطوان وطنجة (1961). وكان من أوائل محرريها ومذيعيها: علي مرحوم، زهير إحدادن، علي عسول. تم تدعيمهم بكل من مدني حواس، عيسى مسعودي، مصطفى تومي...[16].

بالإضافة إلى محطات: المملكة الليبية (محطتي طرابلس-01/ 11/ 1958- وبنغازي -1959-: ثلاث مرات في الأسبوع بأصوات: محمد الصالح الصديق، بشير قاضي، حسان يامي، عبد الرحمن الشريف...)، دمشق (برنامج "الجزائر الثائرة" من 1956 حتى 1961 إثر انفصال سوريا عن مصر)، بغداد ("صوت الجزائر من بغداد": 1958)، الكويت ("صوت الجزائر" عام 1958: ثلاث ساعات في الأسبوع عل الساعة الخامسة مساءً)، الرباط... ومكاتب في الأردن والسعودية...[17].

ومحطات في بعض الدول "الصديقة": من بكين، كوناكري (غينيا)، أكرا (غانا)، بودابيست (المجر: حصة يومية/ ماي 1954/ قبل أن تتوقف بعد احتجاج فرنسا) [18].

واستمر هذا الدعم الإعلامي "الشقيق" و"الصديق" حتى الاستقلال (1962)، وذلك من خلال حوالي خمسة عشر مركزاً عربيا موزعا من طنجة إلى بغداد، بالإضافة طبعا إلى محطات الدول "الصديقة".

وكان من منشطي برامج هذه الإذاعات: محمد عيسى مسعودي (تونس والمغرب) "الملقب بـ"الصوت الرمز للثورة" وبـ"صوت العرب [19].

عدة بن قطاط، البشير الإبراهيمي (مصر)، بشير قاضي، محمد الصالح الصديق، عبد الرحمن الشريف (ليبيا)، محمد مهري (دمشق)، حامد روايحية (بغداد)... بالإضافة إلى: عبد السلام بلعيد، عبد المجيد مزيان، رشيد نجار، مدني حواس، الهاشمي تيجاني، الشيخ رضا بن الشيخ الحسين، مصطفى تومي، عبد القادر نور (مدير سابق للإذاعة الوطنية وأول رئيس تحرير للإذاعة بعد الاستقلال)، الأمين بشيشي (مدير عام سابق للإذاعة الوطنية)، كمال داودي، مصطفى تومي، محمد سوفي، عبد الرحمن الأغواطي، خالد سوفي، دحو ولد قابلية، خالد تيجاني...

أما رد فعل سلطات الاحتلال فقد تمثل في: الضغط على الدول الحاضنة للإذاعة الجزائرية، وفي منع بيع أجهزة الراديو (إلا برخصة أمنية منذ 1956) وحجزها أثناء عمليات التمشيط، وفي توزيع أجهزة راديو مجانا لا تلتقط بعض الإذاعات العربية المؤيدة للثورة الجزائرية وخاصة "صوت العرب" القاهرية... وفي القَنبَلة العشوائية لمناطق البث الإذاعي المحتملة (مرتين في الريف المغربي عام 1957)، وفي قرصنة البرامج والتشويش المكثف عليها، وفي "إنجاز إذاعة مخادعة تبث من فرنسا تحت اسم "هنا صوت الجزائر" [20].

مع العلم أن هذه الإجراءات لم تكن ناجعة في الغالب، وذلك لأن محطات التشويش التسع التي أنشأتها في كل من العاصمة وقالمة وسكيكدة وسطيف وتيزي وزو والمدية وسور الغزلان وتلمسان، كان بث بعضها -05- ضعيفا[21] (وعددها غير كاف. فقد أبطل مفعولها في فترة الإذاعة المتنقلة تغيير مكان البث المستمر – كانت الإذاعة متنقلة في بدايتها-، ثم قلل بعد ذلك من فعاليتها كون البث قويا (وعبر الموجات القصيرة) ومتنوعا من خارج الجزائر، وقيام بعض تقنييها الشباب بتقريب موجات البث من موجات الإذاعة الفرنسية أو إذاعة أي دولة لها علاقة طيبة مع المحتل.

وبالتالى كانت عمليات التشويش التي تقوم بها فرنسا تكون هي أول المتضررين منها وكذا الدول الصديقة لها. كما أن الانتحال (القرصنة) لم يكن مجديا للتحذير المبكر منه ولكون مضمون البث يفضحه بسرعة (www.rta.dz.2010 و"ورتي جمال": 2010، 167-169). والأهم من كل ذلك، أن مفعول قوة الاتصال الشفوي للحاضنة الشعبية للثورة الجزائرية كان الأقوى والأكثر تأثيرا.

الاستماع إلى الإذاعة الجزائرية السرية أثناء الثورةمقر الإذاعة الجزائرية (21 شارع الشهداء) وعليها إحدى صور عيسى مسعودي "صوت العرب".

عيسى مسعودي رمز صوت الجزائر الثائرة ضد الاحتلال (ابن ولاية وهران -1931- وخريج معهد بن باديس والزيتونة).

خاتمة:

لقد مر معنا بأن الإذاعة الجزائرية بدأت بث برامجها من شاحنة متنقلة في منتصف ديسمبر 1956 من المغرب، ثم اعتمدت هناك إذاعة ثابتة منذ جويلية 1959 لينطلق صوتها من عواصم عدة دول "شقيقة" (عربية) و"صديقة" (أوروبية وأفريقية). وكانت برامجها ذات طابع إخباري دعائي تعبوي وبلغات ثلاث: العربية، القبائلية والفرنسية.

ورغم التشويش ومحاصرة انتشار أجهزة الراديو بين الجزائريين، فقد تمكن القائمين عليها من تفعيل دورها الإعلامي المزدوج باتجاه الرأي العام المحلي والدولي.

أما بعد الاستقلال، فقد تحررت عملية اقتناء أجهزة الراديو إلى حد تجاوزها الحد الأدنى المرجو من طرف اليوسنكو بحلول عام 1966 (6 أجهزة لكل 100 ساكن بدلا من 5) [21]. وقد نخصص عملا آخر للتأريخ لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون الجزائرية بعد الاستقلال، والذي بدأ كما هو معروف مع أحداث 28 أكتوبر 1962، حيث تم بسط السيادة الوطنية على المؤسسة، التي أبقت مفاوضات "إيفيان" (Evian) الجزائرية-الفرنسية هيمنة الفرنسيين عليها إلى غاية إبرام الاتفاق النهائي.

❖ هوامش البحث:

(1) لكن يبدو أن البث الإذاعي الخاص في الجزائر بدأ منذ جوان 1923 -بعد راديو برج إيفل 24/ 12/ 1921 وأول إذاعة خاصة فرنسية: "راديولا" عام 1922-، حيث تم بث بعض الحفلات الموسيقية مرتين في الأسبوع انطلاقا من محل "كولن" للأدوات الموسيقية (12، شارع دومون دورفيل/ العاصمة) وعلى مدى 410 أمتار. وفي 17 ديسمبر 1925، أطلقت دار كولن (La Maison Colin) مركز إذاعة الجزائر العاصمة (Radio Alger) للعمل يومي الاثنين والخميس من الساعة 20.45 إلى الساعة العاشرة ليلا. وذلك قبل أن تشغّل إدارة البريد والتلغراف مركزا رسميا لإذاعة الجزائر يوم 28/ 12/ 1925، اتخذ لاحقا (يناير 1926) اسم (Radio-PTT-Alger) مع تحويل إدارته للحاكم العام (http://www.radiotsf.fr/quelle-etait-la-premiere-/radio-dalgerie).

(2) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج5، 300 وإحدادن زهير: الصحافة المكتوبة في الجزائر، جامعة الجزائر العاصمة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، 142.

(3) https://www.tda.dz/ara/ Radiodiffusion, 21/01/2017.

(4) وُلدت الإذاعة السرية الجزائرية يوم الخميس 16 ديسمبر 1956 بأمر من قيادة الاتصالات آنذاك وعلى رأسها عبد الحفيظ بوصوف أحد أبناء ولاية ميلة. وقد كان أول مدير لها المرحوم محمد السوفي المتوفى في ديسمبر 2006. مع العلم أن الطاقم الإذاعي الفرنسي انسحب يوم 26 أكتوبر 1962 مراهنا على توقف البث، وذلك قبل إعلان تحريرها رسميا في منتصف نهار يوم 28/ 10/ 1962. ومعلوم أنه أصبح للإذاعة متحفا وطنيا في العاصمة منذ 18/ 12/ 2014.

(5) تم تدعيم هذا الجهاز بأجهزة اتصال أخرى تم الحصول عليها عن طريق بعض الكمائن أو شراؤها من أسبانيا وألمانيا بفضل مناضلين جزائريين وأشقاء عرب (الأمين بشيشي: 2013، 18).

(6) الأمين بشيشي: أضواء على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ومحطات أخرى متضامنة، منشورات أصالة ثقافة الجزائر،2013، 22.

(7) شهادة المجاهد رابح مشحود: موقع الإذاعة الجزائرية: 16-12-2015 (http://www.radioalgerie.dz/ news/ar/article/20151216/61361.html).

(8) الأمين بشيشي:مرجع سبق ذكره، ص61.

(9) المرجع السابق، 24.

الأمين بشيشي: شاهد على إذاعة الثورة الجزائرية، ندوة وطنية حول الإذاعة الجزائرية من صوت الجزائر المكافحة إلى الرقمنة، 06/ 12/ 2016، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

(10) الأمين بشيشي: مرجع سبق ذكره، ص ص62-64.

(11) عبد الرزاق قسوم: الشروق اليومي، 28/ 3/ 2013، 15 اعترض على احتمال وجود هذه الإذاعة مدير الإذاعة الوطنية الأسبق أ. عبد القادر نور (جريدة الحياة، 09/ 5/ 2015: www.elhayatonline.netarticle23516.html).

(12) تم إنشاؤها في 04 يوليو 1953 وكانت من أول وأشهر الاذاعات المصرية التي بثت لجميع أقطار العالم العربي باللغة العربية... بهدف بث خطابات حول الوحدة العربية ومناهضة الاحتلال الأجنبي للبلدان العربية. ومن المعروف أنها بثت بيان إعلان الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر 54 بصوت الإعلامي المصري "أحمد سعيد" (عن موقعي الإذاعة المصرية - http://www.egradio.eg/ - واتحاد إذاعات الدول العربية: http://www.asbu.net/asbutext/pdf/2003_02_108.pdf).

(13) الأمين بشيشي: مرجع سبق ذكره، ص ص49-50.

(14) المرجع السابق، ص ص 36-37.

(15) المرجع السابق، ص 32.

(16) أنظر: عبد القادر نور: عبد القادر نور: شاهد على ميلاد صوت الجزائر-ذكريات وحقائق- (ONDA)، الجزائر، (ط.2).2013، والأمين بشيشي: 2013.

(17) عبد المجيد شيخي: : أصوات خالدة: عيسى مسعودي أيقونة الإذاعة الوطنية، ندوة وطنية حول الإذاعة الجزائرية من صوت الجزائر المكافحة إلى الرقمنة، 06/ 12/ 2016، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

(18) كان أول مدير عام للإذاعة والتلفزيون (أكتوبر 1962)، وفيه قال بومدين: إن "نصف إنتصارات الثورة بفضل جيش التحرير ونصفها الآخر بفضل صوت عيسى مسعودي" (http://www.radioalgerie.dz/ news/ar/article/20151216/61361.html).

(19) الأمين بشيشي: مرجع سبق ذكره، 26.

(20) https://www.tda.dz/ara/ Radiodiffusion, 21/01/2017.

(21) Courvoisier, Claude : Les Moyens d'information en Algérie, Revue algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, Volume. VI. N° 2. Juin 1969, Faculté de Droit et des Sciences Économique d'Alger. In : http://biblio.univ-alger.dz/ jspui/handle/1635/508.